دور التعايش السلمي في تعزيز قيم المواطنة وفق المنظور القرآني

ا.م.د. عمار باسم صالح

كلية العلوم الاسلامية/جامعة بغداد

amar.saleh@cois.uobaghdad.edu.iq

م.م. هديل عدنان حسن

مديرية تربية الرصافة/٢

الملخص

إن من اهم الامور التي تبحث عنها جميع المجتمعات في العالم وهو السلم الاهلي او التعايش السلمي بين الاديان والمذاهب والملل الاخرى. حاول البحث إبراز ان التعايش هو إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على ما هيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا دون استثناء،فالتعايش السلمي تعبير يراد بِهِ خَلْقُ جَوٍّ مِنَ التفاهم بين الشعوب بَعِيدا" عَنِ الحَرْبِ والعنف . وقد أبرز البحث جملة من الحقائق بعد أن تمت معالجة المقدمات الممهدة لها؛ اذ وضح البحث أهمية تفعيل حق المواطنة في المجتمع والآلية الناجعة للحد من الفتن و الصراعات الطائفية و العرقية والجنسية في أي مجتمع على قاعدة المساواة وعدم التمييز.ان نبذ التطرف له اثر في ترسيخ مقصد مهم من مقاصد الشريعة وهو المحافظة على عقول الناس، من الانحدار نحو التصورات الفاسدة، والافكار المنحرف لذا أصبح لزاما من ضرورة تحذير العوام من الولوج في فهم القضايا العلمية وبناء تصوراتهم على وفق قراءاتهم الخاصة وغير المنضبطة بأصول وقواعد التفكير العلمي والأكاديمي.اكد البحث ان النص القرآني بين من خلال دلالاته اهمية عنصر المواطنة في حياة الانسان المسلم لذا نجد انه عرض لنا جملة من التجارب التي خاضها انبياء الله وهم يتعرضون لحالة الجلاء القسري من بلادهم . خلص البحث أن التعايش السلمي هو اتفاق وقبول وتصالح أخلاقي بين الناس في تعاملهم ومعاملاتهم حيث ما وُجِدوا في نفس الزمان والمكان.

Research Summary

One of the most important things that all societies in the world are looking for is civil peace or peaceful coexistence between religions, sects and other denominations.The research tried to highlight that coexistence is the will of the people of the heavenly religions and different civilizations to work for security and peace to prevail in the world, and for humanity to live in an atmosphere of brotherhood and acquaintance with what is the good that pervades all human beings without exception. Peaceful coexistence is an expression intended to create an atmosphere of Understanding between peoples away from war and violence .The research highlighted a number of facts after the introductions leading to it were addressed. The research showed the importance of activating the right of citizenship in society and the effective mechanism to reduce strife and sectarian, ethnic and sexual conflicts in any society on the basis of equality and non-discrimination.

Rejecting extremism has an impact on the consolidation of an important goal of the purposes of Sharia, which is to preserve people's minds, from declining towards corrupt perceptions and deviant ideas. Therefore, it has become necessary to warn the common people against entering into understanding scientific issues and building their perceptions according to their own readings that are not disciplined by the principles and rules of thinking. Scientific and academic.The research confirmed that the Qur'anic text showed, through its connotations, the importance of the element of citizenship in the life of a Muslim. Therefore, we find that it presented to us a number of experiences that the prophets of God went through while they were subjected to a state of forced evacuation from their country.The research concluded that peaceful coexistence is an agreement, acceptance and moral reconciliation between people in their dealings and transactions wherever they are at the same time and place

المقدمة

ان من افرازات الفكر الحديث المواطنة التي تعد من المفاهيم الحضـــارية للنتاج الفكري للإنســـان ، ومن خلال تراكم المنجزات الحضـــارية والتي ســاهمت في رفع الإنســان وجعلته قيمة عليا بعدما غاب وغيب لفترات طويلة وتحت مسـميات مختلفة.ولقد تطور مفهوم المواطنة مع تطور المجتمعات البشرية، وبدأت الجماعات البشرية التي تقوم على تعاضد أفراد الجماعة الواحدة، لمواجهة التحديات التي قد تتعرض لها بالتكتل نظرا لشعور أفرادها بالحاجة إلى الآخرين، والعيش في جماعة ينتسب إليها.وأما المواطنة فالإسلام، فقد عبّر عنها النبي صلى الله عليه واله وسلم بحب الوطن والارتباط به، بقوله لما همّ بالخروج من مكة: ((ما أطيبك من بلد وأحبك إلي، لولا أن قومك أخرجوني منك ما ســكنت غيرك)) وروي أنه عليه الصـــلاة والســـلام نظر ذات مرة إلى جبل أحد فقال: ((أحد جبل يحبنا ونحبه)) مما يدلل على الارتباط الشعوري بالوطن وأهميته بالنسبة للإنسان.فتنظر الشريعة الإسلامية للمواطنة على أنها تعبير عن العلاقة التي تربط الفرد المسلم بأفراد الأمة، كما تعبر عن العلاقة بين أرض الوطن ومن يعيشون عليها، سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين، وقد تجلى هذا المفهوم منذ نشأة الدولة الإسلامية في المدينة المنورة، وشكلت البداية لتعايش المواطنين من غير المسلمين مع المسلمين، وفق مبادئ الشريعة الإسلامية، لذلك أصدر النبي صلى الله عليه وسلم الوثيقة السياسية الأولى، المعروفة تاريخيا باسم (صحيفة المدينة) أو ما سمي في السيرة النبوية

بكتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى أهل المدينة المنورة.تقوم فكرة المواطنة على المساواة في الحقوق والواجبات لكل فرد من افراد المجتمع ومن غير تفضيل لفرد على آخر تحت أي مسوغ ديني أو عرقيا أو فكريا أو سلوكيا او مجتمعيا، وهدفها بالأساس تحجيم التعصب الديني لدى أتباع الديانات المختلفة في المجتمع الواحد.من أجل ما تقدم اخترنا هذا البحث، محاولا اماطة اللثام عن الموضـــوع بتجرد كبير، واقتضت خطة البحث تقسيمه على مقدمة ومبحثين وخاتمة، تناولنا في المقدمة السبب من وراء اختيار عنوان البحث، وخصصنا المبحث الاول لتعريف وبيان مصطلحات البحث في اللغة والاصطلاح ، وجعلنا المبحث الثاني مخصصا لقيم التعايش السلمي ودورها في ترسيخ المواطنة ، واما الخاتمة فقد أوجزنا فيها اهم نتائج البحث ، وأخيرًا نسأل اللهَ أنْ نكون قد وفّقنا في رسم صورة واضحة المعالم لهذا البحث الذي قد يُنظر إليه من زوايا متعددة، وأملنا بالله كبير ألاَّ تكون من بينها نظرة ســـطحية تحكم عليه،واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين.

المبحث الاول المصطلحات ذات الصلة

المطلب الأول مفهوم التعايش

التعايش لغة :الأصل هو(عيش) ،ويدل على الحياة والبقاء أصل، قال الخليل(العيشُ: الحياةُ. والمعيشة: الّتي يعيش بها الإنسان من المطعم والمشرب، والعِيشة: ضربٌ من العيش، مثل: الجِلْسة، والمِشْية، وكلّ شيء يعاشُ به أو فيه فهو معاش، النّهار معاش)[١] وتأتي ايضا بمعنى الألفة والمودة ، وعايشه :عاش معه [٢].اما التعريف الإصطلاحي لا يبتعد كثيرا عن المعاني اللغوية السابقة، لكن قبل ذلك علينا الإستشهاد بتعريفات المفكرين، ثم نستنبط من المعاني اللغوية لمفردة التعايش.عرفه العلماء بعدة تعاريف، ومن هذه التعاريف: (هو تعريف غير المسلمين بديننا ، والدعوة إليه ، فان لم يقبلوه دينا لهم، فينبغي حينئذ وضع القواعد التي تكفل حقن الدماء ، والتمكين للناس من السعي في الأرض وإقامة العدل بين الناس، والتعاون فيما يمكن التعاون فيه) [٣] والتعايش هو" إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على مافيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا دون استثناء[٤].

بمعنى آخر : هو العيش والسـلام بين الإنسـان ونفسـه، وبين الإنسـان وأخيه الإنسـان في دينه، وأخيه الإنسـان المؤمن في دين آخر، بين الإنسان والإنسـان مهما كان هويتهما بإعتبارهما كائنان مكرمان من الله تعالى، بإعتبارهما إبنا آدم(عليه السلام)، ولقد كرّم الله بني آدم أجمعين، كما يقول تعالى(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلً)[٥].

اما **التعايش السلمي:** هو تعبير يراد به خلق جو من التفاهم بين الشعوب بعيدا عن الحرب والعنف، ويعرف ايضا " : بأنه الاحترام والقبول والتقدير للتنوع الثقافي ولأشكال التعبير والصفات الإنسانية المختلفة. وهذا التعريف يعني قبل كل شيء اتخاذ موقف ايجابي فيه إقرار بحق الآخرين في التمتع بحقوقهم وحرياتهم الأساسية المعترف بها عالميا [٦].وعليه ، فالتَّعَايُشُ السِّلْمِيُّ اذن :هوتَعْبِيرٌ يُرَادُ بِهِ خَلْقُ جَوٍّ مِنَ التَّفَاهُمِ بَيْنَ الشُّعُوبِ بَعِيدا" عَنِ الحَرْبِ وَالعُنْفِ .

المطلب الثاني مفهوم المواطنة وقيمها

فأما المواطنة في اللغة: فقد اشـتقت من كلمة وطن، ومعنى الوَطَنُ: مَوْطِنُ الإنسـان ومَحَلُّهُ.[٧] الوَطَن فكلّ مَكَان قَامَ بِهِ الْإِنْسَـان لأمرٍ فهوَ مَوْطن لَهُ،[٨]وأَوْطَنْتُ الأرضَ، ووَطَّنْتُها تَوْطيناً واسْـــتَوْطَنْتُها، أي اتَّخذتها وَطَناً. وكذلك الاتِّطانُ، وهو افتِعالٌ منه. وتوطين النفس على الشـئ، كالتمهيد. ويقال: من أين ميطانُكَ، أي غايتك.[٩]الوَطَنُ: المَنْزِلُ تُقِيمُ بِهِ، وَهُوَ مَوْطِنُ الإِنسان وَمَحَلُّهُ؛ وَالْجَمْعُ أَوْطان. والمَوْطِنُ: مَفْعِلٌ مِنْهُ، وَيُسَمَّى بِهِ المَشْهَدُ مِنْ مشَاهد الْحَرْبِ، وَجَمْعُهُ مَوَاطن. والمَوْطِنُ: المَشْهَدُ مِنْ مَشَاهد الْحَرْبِ.[١٠]

وأما المواطنة في الاصـــطلاح عرف الباحثون والمختصـــون المواطنة اصـــطلاحا بتعريفات عدة، من أهمها:ان المواطنة هي علاقة بين فرد ودولة يحددها قانون تلك الدولة، وبما تتضـــمنه تلك العلاقة من واجبات وحقوق في تلك الدولة.[١١]وقيل: المواطنة هي البلد الواحد، الذي يعيش فيه الفرد، وهي التي تحدد للمواطن حقوقه وواجباته، ومعنى الولاء لبلاده وخدمتها في أوقات السـلم والحرب، والتعاون مع الآخرين في تحقيق الأهداف القومية.[١٢]وقيل ايضـا إن المواطنة هي تعبير عن التعلق والارتباط الروحي والنفسـي القائم بين الفرد ووطنه ومواطنيه الذين تربطهم به علاقات وروابط لغوية وثقافية وروحية واجتماعية وسياسية وهذا التعلق أو الارتباط يكوّن إخلاص المواطن لوطنه وقيامه بواجباته ومسـؤولياته نحوه.[١٣]أو يمكن تعريفها بأنها: صـورة من صـور التفاعل بين أفراد المجتمع الواحد من جهة، والمجتمع الإنسـاني العالمي من جهة أخرى، والتي تقوم على أســـاس الحقوق والواجبات والإخاء وحب الخير للناس، والحرص على منفعتهم والتعاون معهم بما يرضـــي الله.[١٤]اذن المواطن هو الإنســان الذي يســتقر في بقع أرض معينة، وينتســب إليها، أي مكان الإقامة أو الاســتقرار أو الولادة أو التربية،

فالمواطنة نسبة إلى الوطن وهو المكان الذي ينتمي إليه الفرد والجماعة، تراثيا وتاريخيا وجغرافيا، كذا الشعور بالتعلق به أكثر من غيره، فالمواطنة حقوق وواجبات، ومبادرة الإنسان ومسؤولياته تجاه وتجاه الجماعة التي ينتمي إليها، وهذه الحقوق والواجبات لا تمارس إلا في مجتمع عادل وديمقراطي، يحرص على المساواة وتكافؤ الفرص وتحمل أعباء التضحية، من أجل ترسيخ هذه المبادئ وحمايتها وفتح آفاق تحسين ممارستها، برؤية تتطلع إلى المستقبل، وبحماس لا تطغى فيه العاطفة على العقل والحكمة.[١٥]ولا شك أن الحق في المواطنة هو من أهم الحقوق الدستورية التي تتمحور حولها سائر الحقوق المدنية والسياسية والفردية سواء منها والاجتماعية، وإن الحق الدستوري يعني القاعدة التي تعتمد عليها الهيئات القائمة بالسلطتين العليتين في الدولة التشريعية والتنفيذية في مجال تعيين الأجهزة التي تجسدها والعلاقات التي تقوم بينها، مستقية إياه من نص تضعه سلطة مكلفة بذلك، أو من أعراف قائمة ذات صلة بهذا النص.[١٦]وإن الحق في المواطنة له أهمية كبيرة في الحياة السياسية للشعوب، وفي تكوين أي نظام سياسي، فهو من الأركان الأساسية التي يستند عليها النظام السياسي، ولذلك فإنه لا تقل أهميتها عن تلك التي تحظى بها الحقوق المدنية والسياسية التي تعترف بها الدساتير.[١٧] إلا أن هذا لا يعني أن الحق في المواطنة ليس هو الحق الوحيد الذي تقره النظم الدستورية، فيوجد إلى جانبه العديد من الحقوق المدنية والسياسية، ومنها الحق في المساواة والحق في الجنسية، ونظرا لأن الحقوق والحريات تؤثر وتتأثر ببعضها البعض، بحيث لا يوجد حق معزول عن الحقوق والحريات الأخرى.[١٨]أما المواطنة من منظور إسلامي، فقد عبر النبيﷺ عن حب الوطن والارتباط به بقوله لما همّ بالخروج من مكة: ((ما أطيبك من بلد، وأحبك إلي، لولا أن قومك أخرجوني منك ما سكنت غيرك))[١٩] ويمكن القول إن مفهوم المواطنة في الإسلام يتجاوز علاقة المواطن بوطنه مسقط رأسه فقط، إلى المجتمع الإنساني ككل، فالمواطنة عبارة عن مستويات ودوائر متعددة من العلاقات، تبدأ من علاقة المواطن المسلم بمجتمعه المحلي مرورا بالمجتمع العربي والإسلامي، انتهاء بالمجتمع الإنساني العالمي، وهذه العلاقات حيث امتدت أنبتت حقوقا وواجبات محكومة بضوابط شرعية، فالمواطنة في الإسلام هي صورة من صور التفاعل الإنساني بين أفراد المجتمع الواحد من جهة، والمجتمع الإنساني العالمي من جهة أخرى، والتي تقوم على أساس الحقوق والواجبات والإخاء وحب الخير للناس والحرص على منفعتهم والتعاون معهم بما يرضي الله تعالى.[٢٠]وأما قيم المواطنة... فإن لكل مجتمع ثقافته الخاصة التي تميزه عن غيره من المجتمعات، والقيم أحد مكونات الثقافة، ومن ثم فإن القيم تختلف من مجتمع لآخر، فقد أكدت الدراسات على وجود اختلاف في القيم وأولوياتها من مجتمع لآخر، فعلى سبيل المثال وجدت فروق بين قيم المجتمع الأمريكي وقيم المجتمع الكندي، وهما مجتمعان غربيان متجاوران، فهناك ظاهرة التمسك بالقيم التقليدية في كندا، مقابل التحررية في الولايات المتحدة، والتمسك بإعطاء قيمة أو مكانة خاصة للصفوة في كندا، مقابل التحررية في الولايات المتحدة، وإعلاء القيم الجمعية في كندا، مقابل الفردية في الولايات المتحدة، وهكذا.[٢١]ورغم هذا الاختلاف فإن هناك قيما تمثل القاسم المشترك بين مختلف المجتمعات وأغلب الثقافات لدى الشعوب على مر العصور، مثل: (الحرية، المساواة، العدل، المشاركة، المسؤولية الاجتماعية) فهذه القيم تمثل الجانب الإنساني والعالمي لمفهوم المواطنة، وقد يضاف إليها ويحذف منها، كما قد تختلف ترجمة هذه القيم من الناحية التطبيقية من مجتمع لآخر.[٢٢]أما عناصر المواطنة فتتجلى في مختلف مناحي الحياة، فنجد أن القوانين النافذة في مختلف الدول تتضمن بيان حقوق وواجبات المواطن، فنظم التنشئة الاجتماعية والتربوية تستهدف تعزيز الوعي بقيم المواطنة، فضلا عن دور المؤسسات التي تعمل على إشراك المواطنين في البنية الوطنية الديمقراطية للدولة، ويرى الخبراء التربويين أن المواطنة تشمل العديد من القيم والتقاليد والمهارات والأفعال المترابطة، وتشتمل المواطنة على هذه العناصر: (الولاء، الحقوق، الواجبات، المشاركة المجتمعية، والقيم العامة).[٢٣]ووطن الإقامة: هو البلدة أو القرية التي ليس للمسافر فيها أهلٌ، ، من غير أن يتخذه مسكنًا. ووطن السكنى: هو المكان الذي ينوي المسافر أن يقيم فيه [٢٤].

المبحث الثاني التعايش السلمي ودوره في ترسيخ قيم المواطنة

المطلب الأول دور التعايش السلمي في ترسيخ القيم

إن من أعظم مبادئ التعايش العدل مع المخالف وجعل ذلك دليلا على التقوى التي رتب عليها أعظم الجزاء قال تعالى : { يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى }[٢٥].ولذا فإن من يتأمل أحكام الإسلام وتاريخ المسلمين يجد أنه لا يمكن أن يقوم مجتمع تحترم فيه الحقوق والواجبات كما في دولة الإسلام ، وفي أوج عزة دولة الإسلام وقوتها كان يوجد من غير المسلمين العلماء والأدباء والأطباء والنابغون في مختلف الفنون والأعمال ، وهل يمكن أن يكون لهؤلاء ظهور ونبوغ في أعمالهم لولا سماحة الإسلام ونبذه للتعصب الديني .إن المعاملة الإسلامية لغير المسلمين في ظل دولة الإسلام تشير إلى تميز الحكم الإسلامي بصيانة الحقوق والأخلاق ودفع الظلم وإنجاز كل ما فيه خير للفرد والأمة في الحاضر والمستقبل . وبطبيعة الحال يشمل ذلك غير المسلمين ، فجعل

النظام السياسي الإسلامي الحكم أمانة[٢٦] . يجب تحقيق مفهوم العدالة فيها تطبيقاً وتنفيذاً شرعياً كما قال تعالى : { إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ }[٢٧] .ولا شك أن وجود السلطة القضائية المستقلة العادلة النزيهة [٢٨] لهو أكبر الضمانات لمحاكمة تتوافر لها عوامل الحيدة والنزاهة والاستقلال[٢٩] . ومن صور المساواة والعدالة في الحكومة التسوية في مجلس القضاء والاستماع إلى الخصم غير المسلم وعدم الضيق بهم والحنق عليهم[٣٠] كما جاء ذلك في توجيهات النظم القضائية الإسلامية .يتضح لنا أن الشريعة الإسلامية أقرت مبدأ أصول العلاقات الإنسانية بين المسلمين والأمم الأخرى وترسيخ احترام الحريات وذلك منذ أربعة عشر قرنا وعدم التضييق على المخالفين وإرهابهم وترويعهم وبذلك تندحر المقولة المزعومة والتي يتشدق بها الأعداء الحاقدون على نظم الإسلامي مرددين مقولة : إن الإسلام انتشر بالسيف ذلك أن الإسلامي انتشر عن طريق الدعوة بالتي هي أحسن والمجادلة المقنعة والحوار الهادف البناء والتسامح في المعاملة ، ولم يعرف السيف إلا دفاعاً عن حرماته ومقدساته من أن تنتهك أو تمتهن من قبل أعداء الإسلام لأن الجهاد في الإسلام على ضربين :

الأول : جهاد الدفع ، حماية لمقدسات المسلمين وأوطانهم أن تسلب أو أن تهان أو أن تغتصب .

الثاني : جهاد الطلب كما حصل في الفتوحات الإسلامية . وكل هذا ليؤكد أن القواعد التشريعية الإسلامية في فقه العلاقات الدولية والتساكن والتعايش مع غير المسلمين قد سبقت كل قواعد القانون الدولي بأربعة عشر قرناً فيما يتعلق بالعلاقات الإسلامية[٣١] . ومن مظاهر التميز في صيانة الحقوق والأخلاق ما منحته الشريعة الإسلامية من مزايا وأمان للأجانب في ظل الدولة الإسلامية .وقد أبان الفقهاء أن الأمان للأجنبي يتمثل في تحقيق الدولة الإسلامية الأمن والحماية لمن لجأ إليها[٣٢]. وقد عرّفه فقهاء المالكية بأنه " رفع استباحة دم الحربي ، واسترقاقه وماله حين قتاله . مع استقراره تحت حكم الإسلام مدة ما "[٣٣]. وقد ضرب الإسلام أروع الأمثلة في تمتع الأجنبي بالأمان . قال ابن كثير في تفسيره لقوله تبارك وتعالى : { وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ }[٣٤] . والغرض أن من قدم من دار الحرب إلى دار الإسلام في أداء رسالة أو تجارة أو طلب صلح أو مهادنة أو حمل جزية أو نحو ذلك من الأسباب وطلب من الإمام أو نائبه أماناً أعطي أماناً ما دام متردداً في دار الإسلام وحتى يرجع إلى داره ومأمنه ووطنه[٣٥] .وقال القرطبي: " وقد كان المشركون يطلبون لقاء رسول الله صلى الله عليه واله وسلم لأجل الكلام في الصلح وغيره من مصالح دنياهم ، وقد أجمع الفقهاء على أن من طلب الأمان لسماع كلام الله والتعرف على شرائع الإسلام يجب أن يعطاه ثم يرد إلى مأمنه للآية الكريمة ، وإن حكمها باق مستمر إلى يوم القيامة ، ولم يشرع الجهاد في الإسلام إلا لتمكين كل فرد من العالم من سماع كلام الله في أمن واطمئنان وحرية تامة "[٣٦] . وقد قرر الحسن البصري و مجاهد أن هذه الآية من محكم آي الذكر الحكيم إلى يوم القيامة[٣٧] .ومن خلال هذه النصوص الشرعية والأقوال الفقهية يتضح كفالة الإسلام في تمتع المستأمن في المحافظة على نفسه وماله لكونه إنساناً ما دام محافظاً على الآداب والسلوك الإسلامي وفقه العلاقات الدولية وفهمه له ولم ينحرف عنه . ومما يزيد تمتع الأجنبي بالأمان في شريعة سيد الأنام صلى الله عليه واله وسلم أن الفقهاء قالوا : إن المستأمن بمنزلة أهل الذمة في دارنا إجماعا[٣٨] .وقد أشار السرخسي في المبسوط : " أن أموالهم صارت مضمونة بحكم الأمان فلا يمكن أخذها ، ولا تقيد حريتهم في الاعتقاد والتنقل والمسكن ، ولا يزج بهم في السجون وتجب رعاية هذا الأمان ما دام ساري المفعول "[٣٩] .ولا شك أن هذا التمتع إنما هو مصدر للرعاية الحقيقية التي منحتهم إياها الشريعة الإسلامية أكثر من القانون الدولي . وقد رتب الفقهاء على هذه الامتيازات أنه لا يجوز لدار الإسلام تسليم المستأمن إلى دولته دون الرجوع إليه ورضاه بذلك ولو على سبيل المبادلة بأسير مسلم[٤٠] .

المطلب الثاني المواطنة وفق المنظور القرآني

لقد أكد القرآن الكريم على مكانة الوطن والمواطنة، وأن للديار حرمة، والاعتداء عليها بإخراج أهلها منها أو إذلالهم فيها تعتبر فعلة شنعاء وجريمة في حق أهله، وللوطن حق على أهله ألا وهو الحب، وحب الوطن أساس لمن يعيش فيه؛ لذا يصبح هذا الإنسان مواطن له مكانته ووضعه.فقد جاء القرآن الكريم ليكون الضابط لعاطفة حب الوطن والمواطنة، وحسن توجيهها وتحديد مسارها، بحيث يكون مسلكاً وسطاً للأمة الإسلامية، لقد وردت الآيات القرآنية التي تدل على الوطن والمواطنة.

١- قال الله تعالى : (قل إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) ([٤١])

٢- قول الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) ([٤٢]).

٣- قول الله تعالى : (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ) (٤٣) ومن خلال المواطنة الصالحة يقوم المواطن بتقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، ومصلحة المجتمع على مصالحه، ويقوم بتحقيق الأمن، والعدل والعزة والرخاء لموطنة، ويدعوه سبحانه وتعالى لتحقيق ذلك، إن المواطن الحقيقي الذي تأصل فيه حب الوطن وغُرس فيه منذ صغره، لذا يصعب عليه الخروج منه، وإذا خرج يحن إلى الرجوع إليه، وهذا يظهر حب الوطن فيه(٤٤).

٤- قول الله تعالى : (وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا) (٤٥).إن المواطنة الصالحة تتحقق في أصحاب العزائم القوية؛ لذا يصعب عليها الخروج من الوطن، لأن حب الوطن أصيل في نفسه، وهو يؤثر الخير والسعادة لوطنه، ولا يؤثر إلا رضوان الله على حظه وشهواته(٤٦).

٥- قول الله تعالى : (لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (٤٧).إن الله سبحانه وتعالى قرن حب الدين مع حب المواطن لوطنه؛ لذا من حق المواطن العدل والبر الذي مأمور به من الله لمن لم يقاتل المسلم في دينه ولم يخرجه من وطنه.

٦- قول الله تعالى : (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَادُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) (٤٨).إن من المواطنة الحنين إلى الوطن والشوق إليه؛ إذ هو مولد الإنسان والآباء، وعند ما يُخرج منه يشعر بالحنين إليه؛ لذا أخذ الله على الأمم السابقة العهد بعدم إخراج الأنفس من الديار، لما لها من التأثير الواضح على الإنسان(٤٩).

الخاتمة ونتائج البحث :

بعد هذه الرحلة المباركة لابد أن نقف وقفة تأمل واستذكار لما حققه البحث من مقاصد وما توصل اليه من نتائج فنقول:

١- ان التعايش لايكون الاَّ بوجود الألفة والمودة، ولا يعيش الإنسان مع غيره الاَّ إذا وجد بينهما تفاهم ورغبة بعيشة مشتركة لحمتها الألفة تسودها المودة والثقة.

٢- التعايش هو إرادة أهل الأديان السماوية والحضارات المختلفة في العمل من أجل أن يسود الأمن والسلام العالمَ، وحتى تعيش الإنسانية في جو من الإخاء والتعارف على مافيه الخير الذي يعم بني البشر جميعا دون استثناء.

٣- التَّعَايُشُ السِّلْمِيُّ تَعْبِيرٌ يُرَادُ بِهِ خَلْقُ جَوٍّ مِنَ التَّفَاهُمِ بَيْنَ الشُّعُوبِ بَعِيدا" عَنِ الحَرْبِ وَالعُنْفِ

٤- التعايش السلمي هو اتفاق وقبول وتصالح أخلاقي بين الناس في تعاملهم ومعاملاتهم حيث ما وُجِدوا في نفس الزمان والمكان.

٥- مصطلح المواطنة من المصطلحات المعاصرة، التي اختلف الباحثون في حده، وبيان ما ينطوي عليه من دلالات، ومعان، وقيود؛ تبعًا لاختلاف المدارس، والاتجاهات الفكرية التي ينتمي إليها من يتعرض لبيان حقيقة هذا المصطلح.

٦- لقد كان لمفهوم المواطنة في القران الكريم دلالات مختلة تتعدد بتعدد القرائن التي تدلل عليها فالبعض منها كان يشر الى ان الموطن الحقيقي للإنسان هو الجنة وهذا الواقع يتلاءم مع النشأة الاولى للإنسان .

٧- لقد بين النص القرآني من خلال دلالاته اهمية عنصر المواطنة في حياة الانسان المسلم لذا نجد انه عرض لنا جملة من التجارب التي خاضها انبياء الله وهم يتعرضون لحالة الجلاء القسري من بلادهم .

٨- تقوم المواطنة على أساس الحقوق والواجبات والإخاء وحب الخير للناس والحرص على منفعتهم والتعاون معهم بما يرضي الله.

٩- لقد أرسى القران الكريم والسنة النبوية المطهرة مبادئ المواطنة قبل الغرب، وذلك من خلال النداء الإلهي العظيم(لكم دينكم ولي دين)

١٠- لقد كان لمفهوم المواطنة في القران الكريم دلالات مختلة تتعدد بتعدد القرائن التي تدلل عليها فالبعض منها كان يشر الى ان الموطن الحقيقي للإنسان هو الجنة وهذا الواقع يتلاءم مع النشأة الاولى للإنسان .

المصادر

القران الكريم

١) أركان وضمانات الحكم الإسلامي : محمد مفتي ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، الكويت ، ١٩٨٩.

٢) الإسلام والعلاقات الدولية : محمد الصادق عفيفي ، دار الرائد العربي ، بيروت،١٩٨٦.

٣) الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين : عبد المنعم أحمد بركة ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٩٠ .

٤) الإعلام العربي بين التنوير والتزوير ، أحمد جابر حسنين ، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع ،لبنان، ٢٠١٧ .

٥) التحرير والتنوير ، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، . ١٩٨٤م.
٦) تربية المواطن ، محمد الشيباني ، دار الفكر،دمشق،٢٠٠٧.
٧) التعريفات ، علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي . بيروت،١٩٨٥ .
٨) تفسير البحر المحيط ، محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠١ م
٩) التقارب والتعايش مع غير المسلمين، الدكتور محمد موسى الشريف، دار ابن كثير– دمشق–بيروت، ٢٠٠٦م ٠
١٠) التقسيم الإسلامي للمعمورة : محيي الدين محمد قاسم ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٩٩٧ .
١١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،١٩٨٨.
١٢) الجامع لأحكام القرآن، ابو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، المحقق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، ٢٠٠٣.
١٣) حب الوطن منظور شرعي، د. زيد بن عبد الكريم الزيد، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض ١٩٩٧.
١٤) الحوار من أجل التعايش، د.عبدالعزيز بن عثمان التويجري، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م .
١٥) السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي ، محمد البكر ، الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٨٨.
١٦) العلاقات الدولية في الحروب الإسلامية : الشيخ علي قراعة ، دار مصر للطباعة ، ١٩٨٦.
١٧) العين ،الخليل احمد الفراهيدي، دار الكتب العلمية ،بيروت،٢٠٠٣ .
١٨) غريب القرآن، أبو بكر محمد بن عزيز السجستاني، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران ،دار قتيبة ،الاردن، ١٩٩٥م .
١٩) القضاء في الإسلام وآداب القاضي : جبر محمود الفضيلات ، دار عمار ،عمان ، ١٩٩٢.
٢٠) قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية : جعفر عبد السلام ، مكتبة السلام العالمية ، القاهرة ، ١٩٨١.
٢١) الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٩٤.
٢٢) لسان العرب،أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الافريقي المصري ، دار صادر ، بيروت ، ١٩٨٧ .
٢٣) معجم مقاييس اللغة، أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل ، بيروت ، ١٩٩٩.
٢٤) مفهوم وقضايا المواطنة في النصوص التعليمية بين منهجيات التمكين ومحتويات التعبئة، أحمد يوسف سعد، مجلة عالم التربية، القاهرة،
٢٥) المواطنة العالمية، أماني غازي جرار، دار وائل للنشر والتوزيع، عمان،٢٠١٠.
٢٦) المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، بشير نافع، سمير الشمري، علي خليفة الكواري ، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ٢٠٠١.
٢٧) الوطن والمواطنة، حسين جمعة، مجلة الفكر السياسي، سوريا، ٢٠٠٦.

---

١) ينظر كتاب العين ، للخليل:١٧٩/٢، باب(العين والشين و (واي) معهما)
٥) ينظر غريب القرآن، السجستاني، ١/ ٤١٥–٤١٦ معجم مقاييس اللغة، ١٩٤/٤، لسان العرب لابن منظور٦/ ٣٢١–٣٢٢،.
١) التقارب والتعايش مع غير المسلمين، الدكتور محمد موسى الشريف، دار ابن كثير– دمشق–٢٠٠٦،ص ٧ .
[٤] ينظر: الحوار من أجل التعايش، د.عبدالعزيز بن عثمان التويجري، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م،ص٧٦.
[٥] سورة الإسراء: ٧٠.
٦ الإعلام العربي بين التنوير والتزوير ، أحمد جابر حسنين ، ص٧٦ .
(٧) العين: ٧/ ٤٥٤ مادة (و ط ن).
(٨) تهذيب اللغة: ١٤/ ٢١ مادة (و ط ن).
(٩) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: ٦/ ٢٢١٤ مادة (و ط ن).
(١٠) لسان العرب: ١٣/ ٤٥١ مادة (و ط ن).
(١١) القاموس السياسي، لأحمد عطية: ١٢٦٨.
(١٢) المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية، لبشير نافع: ٢٤٧.
(١٣) تربية المواطن، لمحمد الشيباني: ٣٥.

(١٤) حب الوطن من منظور شرعي، د. زيد عبد الكريم الزيد: ٥٣.

(١٥) ينظر: المواطنة والديمقراطية في البلدان العربية: ١١.

(١٦) حق الجنسية في الدستور العراقي المؤقت: ١٧.

(١٧) ينظر: النظم السياسية في العالم المعاصر: ٢/ ١٩.

(١٨) نسبية الحريات العامة وانعكاساتها على التنظيم القانوني: ٧٦.

(١٩) أخرجه الترمذي في سننه، باب في فضل مكة، ٦/ ٢٠٨ برقم (٣٩٢٦) وقال عنه: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(٢٠) المواطنة الصالحة – السمات والواجبات: ١٦.

(٢١) مفهوم وقضايا المواطنة في النصوص التعليمية بين منهجيات التمكين ومحتويات التعبئة، أحمد يوسف سعد: ١٧.

(٢٢) الوطنية كائن هلامين، سفر محمود، وآخرون، وزارة المعارف، الرياض، ٢٠٠١: ٧٣

(٢٣) ينظر: المواطنة وتعزيز العمل التطوعي: ٥٣.

[٢٤] انظر: التعريفات للجرجاني ص ٣٢٧، و الكليات للكفوي ٤٢/٥، ٤٣.

[٢٥] سورة المائدة / ٨.

[٢٦] انظر : الإسلام والمساواة بين المسلمين وغير المسلمين ، ص٨٥ ؛ أركان وضمانات الحكم الإسلامي : محمد مفتي ، ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، الكويت ، العدد ١٢ ، ١٤٠٩هـ؛ ص١١٠، التقسيم الإسلامي للمعمورة : محيي الدين محمد قاسم ، ص٩٩ .

[٢٧] سورة النساء / ٥٨ .

[٢٨] انظر : السلطة القضائية وشخصية القاضي في النظام الإسلامي : محمد البكر ، الزهراء للإعلام العربي ، ١٩٨٨ ، ص٦٥٢ ،.

[٢٩] انظر : تبصرة الحكام : ابن فرحون ، (١ /ص١٥) ؛ معين الحكام : الطرابلسي ، ص٩ .

[٣٠] انظر : القضاء في الإسلام وآداب القاضي : جبر محمود الفضيلات ، دار عمار ،عمان ، ١٩٩٢ ، ص١١٩.

[٣١] انظر : قواعد العلاقات الدولية في القانون الدولي وفي الشريعة الإسلامية : جعفر عبد السلام ، ١٩٨١ ص٣١٥ ،.

[٣٢] انظر : الإسلام والعلاقات الدولية : محمد الصادق عفيفي ، دار الرائد العربي ، بيروت ،١٩٨٦ ، ص٣١٧.

[٣٣] انظر : الحطاب ، (٣ /٣٦٠)؛ حاشية العدوي على الخرشي ، (٣ /١٤١) .

[٣٤] سورة التوبة / ٦ .

[٣٥] تفسير الحافظ ابن كثير ، (٢ /١٢٧) .

[٣٦] الجامع لأحكام القرآن : الإمام القرطبي ، (٥ /٢١١) .

[٣٧] انظر : تفسير الزمخشري ،(٢ / ٢٩) .

[٣٨] انظر : شرح السير الكبير ، (٢ / ٢٢٦) .

[٣٩] انظر : بدائع الصنائع : الكاساني ، (٧ / ١٠٧).

[٤٠] انظر : شرح السير الكبير ، (٣ / ٣٠٠)، العلاقات الدولية في الحروب الإسلامية : الشيخ علي قراعة ، ص٨٦.

[٤١]) سورة التوبة : آية ٢٤

[٤٢]) سورة البقرة : آية ١٢٦

[٤٣]) سورة إبراهيم : آية ٣٥

[٤٤]) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن عاشور، (١٠/ ١٥٣).

[٤٥]) سورة النساء الآية : ٦٦

[٤٦]) الجامع لأحكام القرآن، محمد أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٢، (١١/ ٣٢١).

[٤٧]) سورة الممتحنة الآية : ٨

[٤٨]) سورة القصص ، الآية : ٨٥

[٤٩]) حب الوطن من منظور شرعي ، زيد عبدالكريم الزيد، دار إمام الدعوة ، الرياض ، ٢٠٠٦م ، ص ٣٦.